

أن تتدخل في شئون بابل ، ثم تمكن الملك الآشوري «توكولت انتورا»-Tukult-Entura «من هزيمة الكاشيين الذين كانوا يحكمون بابل في سنة ١٢٥٧ ق . م . وأصبحت دولة آشور الوريثة لحكم بلاد النهرين بعد طرد الكاشيين من بابل في سنة ١٢٣٠ ق . م . تمكن الملك «تجلاش بلاسر الأول» Tiglath Pileser I في سنة ١١٠٠ ق . م . من مد ممتلكاته شمالاً إلى منابع دجلة ، وغرباً إلى البحر الأبيض المتوسط ، وشرقاً إلى حدود الهضبة الإيرانية . وجنوباً إلى بابل . وتسمى هذه الفترة بالدولة الآشورية المتوسطة ولكن نلت هذه الانتصارات عهود ضعيفة مكنت ملوك الآراميين من الاستيلاء على بعض ممتلكات الإمبراطورية . ولكنها استرجعت ثانية في سنة ٩٠٠ ق . م على يد ملوك الآشوريين الأقوياء . كما تمكن خلفاؤهم من الاستيلاء على دمشق عاصمة الآراميين في سنة ٧٢٢ ق . م وعلى « سامريا » عاصمة دولة يهوذا في سنة ٧١٠ ق . م وفي عام ٨٧٠ ق . م ضم « أسار حدون » الجزء الشمالي من مصر إلى ممتلكاته بالإضافة إلى توجيه حملات ضد العلاميين ووصلت الدولة إلى مركز كبير في عهد الملك « آشور بانيبال » الذي أرسل حملة إلى مصر لإخماد الثورة التي قامت فيها ضد الحكم الآشوري ودمر مدينة « سوزا » عاصمة العلاميين . وقتل ملكها في سنة ٦٤٠ ق . م ولكن هذا الانتصار لم يدم ، فقد ضعفت الدولة من كثرة إغارة قبائل « الميديين Midian » و « السيثيين Scythian » عليها <sup>(١)</sup> وسقطت مدينة نينوى في سنة ٦١٢ ق . م بعد أن تحالف ضدها الميديون والكلدانيون الذين كانوا يحكمون في بابل . وانتهت الإمبراطورية الآشورية بالزوال مثل ما انتهت الإمبراطوريات السابقة . وتسمى هذه الفترة الواقعة بين سنة ١٠٠٠ ق . م . - سنة ٦١٢ ق . م . بالدولة الآشورية الحديثة .

ولقد استمد الآشوريون حضارتهم من السومريين مثلما استمد الرومان حضارتهم من الإغريق ، واقتبسوا كثيراً من الديانة السومرية ، وقدسوا آلهتها ، وأضافوا إليها آلهة من عندهم مثال ذلك الإله « أداد Adad » إله العاصفة

(١) استقرت هذه القبائل بعد تحوالها في بلاد الإيرانية بالمنطقة الجبلية الواقعة بين إيران وروسيا .

والإله « آشور Asur » إله الحرب . وكان الأخير مفضلاً لديهم لكونهم أمة حربية ، ورمزوا له بشكل آدمى يتوسط قرصاً مجنحاً يطلق سهامه على العدو . وقد نقلوا هذا الرمز عن الحيثيين الذين نقلوه بدورهم عن المصريين . إنعدم الفن في بلاد الآشوريين قبل استقلالهم عن حكم الدولة الكاشية في بابل . ويبدأ ظهور بعض الأعمال الفنية في مدينة آشور منذ القرن الثاني عشر قبل الميلاد ويغلب عليها الطابع السومري . أما طابع الفن الآشوري الخاص . م . فلم يظهر إلا في القرن التاسع قبل الميلاد في عهد « آشورناصريال » .

### العمارة :

ترتب على انشغال الآشوريين بالحروب انصرافهم عن التعمق في الشؤون الدينية لذلك لم يعثر لهم على كثير من المشيدات الدينية وكان ما عثر عليه متأثراً بالنمط السومري ، حيث عثر في مدينتي « آشور » و « خورسباد » على آثار زقورات ذات عدة مصاطب تحمل المعابد . كما أنهم لم يعتنوا ببناء القبور لانعدام إيمانهم بالحياة الأخرى ، وكان الموتى من العائلة الملكية يدفنون تحت أرضية القصر الملكي<sup>(١)</sup> ، واقتصر فن المعمار الآشوري على تشييد القصور الفخمة التي تليق بملوك الآشوريين . وقد تبارى الملوك الآشوريون في العصور المتتابعة في تشييد قصور جديدة بمجرد اعتلائهم الحكم ، وصلت إلى درجة كبيرة من الحجم والفخامة لم يسبق لها مثيل في بلاد النهرين ، وقد استمر هذا النشاط المعماري من عام ١٠٠٠ ق . م . إلى عام ٦١٢ ق . م . الموافق سقوط العاصمة « نينوى » وزوال الإمبراطورية الآشورية .

وتشابه القصور الآشورية في التخطيط العام . فيقام القصر على أرض مستطيلة يحيط بها أسوار عالية بها عدة أبراج للحراسة . كما عرف الآشوريون استعمال الأعمدة والعقود في مشيداتهم وكان جسم العمود أسطوانى الشكل أملس به تاج<sup>(٢)</sup> ربما استمدوه من الفينيقيين ، ولم تكن لهذه الأعمدة أهمية معمارية .

(١) عثر على عدد من هذه الألفية تحت أرضية القصر الملكي في مدينة « آشور » .

(٢) لم يعثر على قصر آشورى كامل وإنما استمدت هذه المعلومات من النقوش الموجودة على

الروح الجدران بصور توضح الشكل الخارجى للقصور .

لم يعثر على قصور كاملة للملوك الآشوريين من جراء التدمير الذى لحق بالمدن الآشورية بسبب الحروب المتتالية التى مرت بها البلاد . ويعتبر ما تبقى من قصر الملك « سارجون » فى « خورسباد » من أفضل الأمثلة المعمارية الآشورية ، فهى تمدنا بالكثير من المعلومات عن الفن المعمارى المتبع فى تشييد هذه القصور الملكية .

اختار الملك « سرجون » مكاناً شمال شرق مدينة « نينوى » شيد فيه عاصمة جديدة وقصراً خاصاً به وسمى هذه المدينة « شاروكين » ( حالياً « خورسباد » ) وأكمل بناءها فى سبع سنوات ولكنه لم يعيش فيها إلا سنة واحدة ثم توفى بعدها . وكانت المساحة التى شيد عليها تلك المدينة تبلغ حوالى خمسة وعشرين فداناً ، ويحجب القصر عن المدينة سور عال تعلوه أبراج عالية . وقد تميز مدخل هذا القصر بثلاث بوابات ذات عقود مستديرة يحيط بها أبراج شامخة للحراسة ، وقد استخدم الطوب فى تشييد هذه القصور على النمط السومرى إلا أن الآشوريين بطنوا الجزء الأسفل من جدران المدخل بكتل حجرية لم يكن من الصعب توفرها فى شمال بلاد النهرين كما بطنوا الجزء الأسفل من الجدران الداخلية بألواح من الحجر أيضاً وتبرز من الكتل الحجرية القائمة بالمدخل تماثيل لحيوانات مجنحة برءوس آدمية ( شكل ١٨٣ ) وقد تكون هذه الحيوانات ثيراناً أو أسوداً . ويتضح أن فكرة نحت الأشكال الحيوانية فى الكتل الحجرية الموجودة بداخل القصور الآشورية ( شكل ١٨٤ ) مستمد أسلوبها من مداخل قصور الحيثيين الموجودة فى مدينة « بوغازكوى » ( شكل ١٥٤ ) ويبدو أن الملوك الآشوريين شاهدوا قصور الحيثيين وأعجبوا بها ونقلوا الكثير من طرازها المعمارى ومما يؤيد هذا قول الملكين « سنخريب » و « تجلاش بلاشر » إنهما أقاما قصورهما على الطراز الحيثى . وبديهي أن الغرض من نحت هذه المخلوقات الضخمة بمدخل القصور هو التأثير على الزائر وإشعاره بقوة وعظمة الملوك الآشوريين . ويزداد هذا التأثير إذا مر الزائر إلى داخل القصر ورأى النقوش البارزة الموجودة على الألواح المرمر التى تغطى الجزء الأسفل من الجدار المشيد من الطوب . حيث كانت

( شكل ١٨٣ ) ثور مجنح برأس آدمي - نحتت  
 بارزعة على عليه في مدخل قصر نمرد - القرن التاسع  
 ق . م . « المتحف البريطاني »



( شكل ١٨٤ ) بوابة قصر المنك « سارجون »  
 مجديقة « خورسياد » ويظهر بالمدخل زوج من  
 الثيران المجنحة .

( شكل ١٨٥ ) نقوش بارزة لمخلوقات خيالية  
 آدمية مجنحة (١) وجدت بقصر المنك آشور ناصر  
 في « نمرد » القرن التاسع ق . م . (ب) لمخلوقات  
 برهوس طيور - قصر المنك سارجون خورسياد  
 القرن الثامن . « متحف اللوفر »



هذه النقوش توضح الغزوات الحربية التي انتصر فيها الآشوريون . وكانت الغزوات التي قام بها الملك مسجلة في ترتيب تاريخي مع توضيح كل غزوة بالتفصيل فيشاهد الزائر الجيوش الآشورية تتقدم دائماً للملاقاة الأعداء وإلحاق الهزيمة بهم ثم تعود محملة بالغنائم والأسرى . وتوضح تاريخ الحملات كتابات في أعلى الصورة . وإذا كثرت الغزوات توضح المناظر المنقوشة في إفريزين أحدهما فوق الآخر . وفي هذه الحالة توجد الكتابة بين هذين الإفريزين .

### النقوش البارزة :

لم يسبق الآشوريين في استعمال زخارف منقوشة على أحجار الجدران إلا الحيثيون . ولم تكن لها أهمية معمارية عند الآشوريين ، بل استعملت فقط لزخرفة الجدار . كما أن نقوش الحيثيين ارتفعت إلى متر واحد فقط لكن الآشوريين بعد ما اقتبسوا الفكرة زادوا في ارتفاع الإفريز مبالغة في إظهار العظمة والفضامة التي تليق بالملوك الآشوريين . فيبلغ ارتفاع الألواح في قصر الملك « أشورناصربال » حوالي مترين ونصف وفي قصر الملك سارجون ثلاثة أمتار ونصف تقريباً .

وترجع أهمية هذا الأسلوب الآشوري إلى أن هذه المناظر تمثل أطول مساحة قصصية عرفت في تاريخ الشرق الأوسط . فالمصريون استخدموا جدران المعابد لنقش منظر واحد يوضح معركة حربية . كذلك فعل السومريون على لوحاتهم التذكارية . كما عثر في قصر «دركوريجالزو Dur—Kurigalzu» على جدار مزخرف يصف من الأشخاص الملونة من صنع «الكاشيين» لكن الآشوريين اتبعوا أسلوباً مخالفاً إذ جعلوا من تسجيل تفاصيل الأحداث الحربية في شريط ممتد مصوراً فناً تاريخياً وزخرفياً سهل فهمه وتبعه .

وفي بلاد النهرين باستثناء لوحتي «أورنامو» و «نرامسن» تعتبر هذه هي المرة الأولى التي نرى فيها النقش البارز لا تدور مواضيعه حول المعتقدات الدينية . ويعتبر هذا التغيير إيذاناً بظهور تطور في طابع فنون بلاد النهرين . فالمثلول أمام الإله الذي كان يسجل بكثرة في العهود المختلفة في بلاد النهرين

اخنقى كلية . ونادراً ما يصور الإله ، بل يرمز له برموز تأخذ مكاناً غير ظاهر في الصورة .

وكان الشيء الوحيد الذى بقى من التقاليد السومرية هو المخلوقات الآدمية المجنحة ، أو الآدمية برعوس طيور ، وترسم هذه المخلوقات الخيالية مرتدية زى الملوك مع تسجيل جميع التفاصيل الدقيقة الموجودة فى الزى مما يوضح من هبة هذه المخلوقات . وتأخذ هذه المخلوقات مكانها على جوانب المداخل خلف الثيران المجنحة لتقوم بطرد الأرواح الشريرة ، وتشاهد على مداخل قصرى الملك « أشورناصر بال » ( شكل ١٨٥ - ١ - ب ) والملك « سرجون » .

وقد ابتدأ ظهور هذا الفن فى عهد الملك « أشورناصر بال » فى القرن التاسع قبل الميلاد وتطور فى عهد الملوك « شلمنصر Shalmanaser » و« تجلاش بلاسر الثالث » ونضح فى عهد الملك « سارجون » وبلغ القمة الفنية فى عهد الملك « أشوربانيبال » . وبدراسة مجموعة من هذه الأواح المنقوشة فى العهود المتتالية يمكن تتبع مراحل هذا التطور فن قصر الملك أشورناصر بال الذى شيده بمدينة «غرد Nimrud حالياً» - «كلح» - يتضح أن المناظر الحربية قد رسمت بدون مراعاة لقواعد المنظور فلا يوجد ما يشعر بقرب الأشياء وبعدها ، وهذا يتضح فى منظر يسجل انتصار الآشوريين فى معركة « لاشيش lashish » (شكل ١٨٦) . فتظهر جنود الأعداء الفارين يسبحون الواحد فوق الآخر بدون رابطة بينهم ، كما لا يتضح شكل الضفة الأخرى التى يقف عليها الجنود الآشوريون .

وعادة لا يرسم الملك الآشورى بحجم مخالف لحجم الأشخاص الموجودين معه فى الصورة فى هذه المناظر الحربية . لذلك لا تبرز أهمية شخصية الملك ، ولكن عظمة الملك وشجاعته كانتا متوفرتين فى مواضع صيد الأسود التى كانت تعتبر رياضة مفضلة لدى الملوك الآشوريين - وكانت الأسود تحفظ فى أماكن خاصة تطلق منها إذا ما رغب الملك فى صيدها - فنشاهد نقشاً يصور الملك « أشورناصر بال » مستقلاً عربته فى موكب الصيد يلتفت إلى الخلف بشجاعة



١٨٨

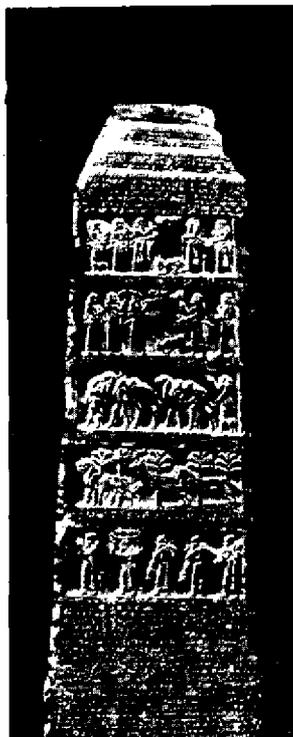
شكل ١٨٦) نقش بارز من جدار في قصر مدينة «نمرد» ويظهر  
رد الأشوريون يسبحون فوق قرب منكله بالهواء. « المتحف البريطاني »

شكل ١٨٧) الملك آشور ناصر بال يصطاد الأسود. نقش جداري  
عليه في مدينة «نمرد». « المتحف البريطاني »

(شكل ١٨٨، ب) مسلة الملك «شلمنصر الثالث» عثر عليها في  
«نمرد» وبها نقوش بارزة لانتصارات الملك على أعدائه (ب) ويظهر  
في إحداها ملك يهودا يجثو أمام الملك، القرن التاسع «المتحف البريطاني»



ب ١٨٨



ليصوب سهماً آخر على الأسد الذي أصابته السهام فيحاول مهاجمة العربة الملكية (شكل ١٨٧) وتمتاز هذه المناظر بحبوية أكثر من المناظر الحربية . كما تدل على ملاحظة الفنان الدقيقة للحيوان ودراسته له، ويبدو ذلك واضحاً في تعبير الشراسة الموجود على وجه الأسد الجريح بينما يبدو الخنوع على الأسد الذي أصابت سهام الملك منه مقتلاً . كما يلاحظ تسجيل انفعال خوف الجياد من الأسود في حركة الأذن المضمومة على الرأس .

و بمقارنة مناظر صيد الحيوانات المصرية (شكل ٩٣) بمثلها الآشورية يلاحظ أن الفنان المصرى عالج الموضوع من الناحية الزخرفية بينما تميزت مناظر الصيد الآشورية بطابع العنف . ومع أن الجواد الآشورى يبدو أقل رشاقة من الحصان المصرى لكنه أكثر حبوية .

وقد سجلت الانتصارات الحربية في بعض العهود بمناظر ساحية تخلو من العنف . ومن هذه النماذج نقوش مسلة الملك « شلمنصر الثالث » المنتهية بشكل الزقورة . فتظهر المواضيع فيها مرتبة في سطور أفقية بينما توضح الكتابة الموجودة في أسفل السطور قصص الصور المنقوشة (شكل ١٨٨) . وتمتاز هذه المناظر بالبساطة والوضوح ، حيث اعتنى الفنان فيها بتوضيح زى الأشخاص ليسهل معرفة أجناسهم فيشاهد في إحدى السطور ملك يهوذا راكعاً أمام الملك الآشورى (١٨٨ أ) .

يتقدم فن النقش على الألواح في عهد الملك « سارجون » كما يقل ظهور المناظر الحربية ، ويملاّ اللوح المرتفع بمنظر واحد ترسم فيه الأشخاص بحجم كبير واضح، وتظهر شخصيات من الأساطير السومرية القديمة فنرى البطل « جلجامش » مرسوماً بحجم كبير يختصن أسداً صغيراً (شكل ١٨٩) والنحت في هذه الصورة بارز لدرجة أن البطل « جلجامش » يبدو للرأى وكأنه خارج من سطح الحدار .

ولا تتميز مناظر الصيد الموجودة بقصر الملك « سارجون » بطابع العنف الموجود، في المناظر المدائلة في القصور الآشورية . كما أن هناك محاولة أكثر

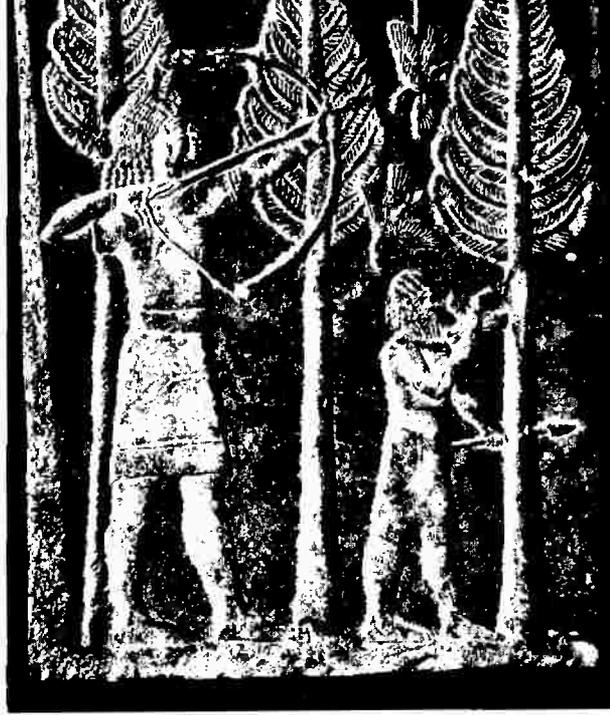
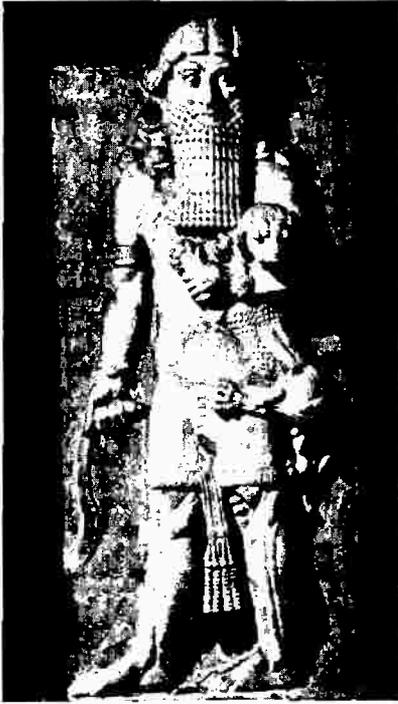
لتوضيح المنطقة التي يصطاد فيها الملك فتظهر الغابة بأشجارها المختلفة الأحجام وتبدو الأشكال موزعة توزيعاً جميلاً على خلفية الصورة (شكل ١٩٠) . ولو أن الفنان لم يهتم بدراسة المنظور في هذه الصورة حيث رسم الأشخاص والأشجار على خط وقف واحد . إلا أنه اهتم بتغطية المساحة كلها بوحدات متنوعة واضحة . كما سرت عنايته الفائقة بإظهار خصائص الحيوانات الوصول إلى نتيجة حسنة .

وقد تطورت النقوش الآشورية تطوراً كبيراً في عهد الملك « سنحريب » ابن الملك « سارجون » الذي شيد قصرأ عظيماً في « نينوى » فتظهر أشخاص كثيرة في المواضيع الحربية . ولرغبة الفنان في ملء الألواح العالية بأشخاص كثيرة اضطر إلى تصغير حجمها . فرى الجنود الآشوريين يطاردون القبائل التي تسكن منطقة المستنقعات موزعين في مجموعات على مساحة الصورة (شكل ١٩١) . وتشعرنا طريقة رسمه النباتات النامية في الماء بإدراك أكثر لقواعد المنظور وإحساس بالقرب والبعد . كما تتميز الأشخاص المرسومة في نقوش قصر الملك « سنحريب » بالحوية والحركة . ويذكرنا التعبير عن المياه بخطوط متموجة تظهر فيها الحيوانات المائية بمنظر الصيد القديمة .

وقد وصل فن النحت البارز الآشوري القمة في لوحات قصر الملك « آشوربانيبال » المشيد في مدينة « نينوى » فأصبحت الأشكال المصورة والمنقوشة أكثر وضوحاً ، وازدادت العناية بتسجيل الحركات المختلفة بدقة . كما تظهر منذ ذلك العهد الخطوط المائلة في تكوين الصورة لأول مرة ، ويتضح ذلك من نقش يصور قصة انتصار الجيوش الآشورية على مملكة علام ، فرى الجنود الآشوريين يهاجمون مدينة « حمان » ثم يدمرونها ويتركونها عائدين بعد ما حملوا الغنائم . ويمكن ملاحظة الحركات المختلفة الممتلئة حيوية التي يقوم بها جنود الملك وهم يدمرون المدينة (شكل ١٩٢) .

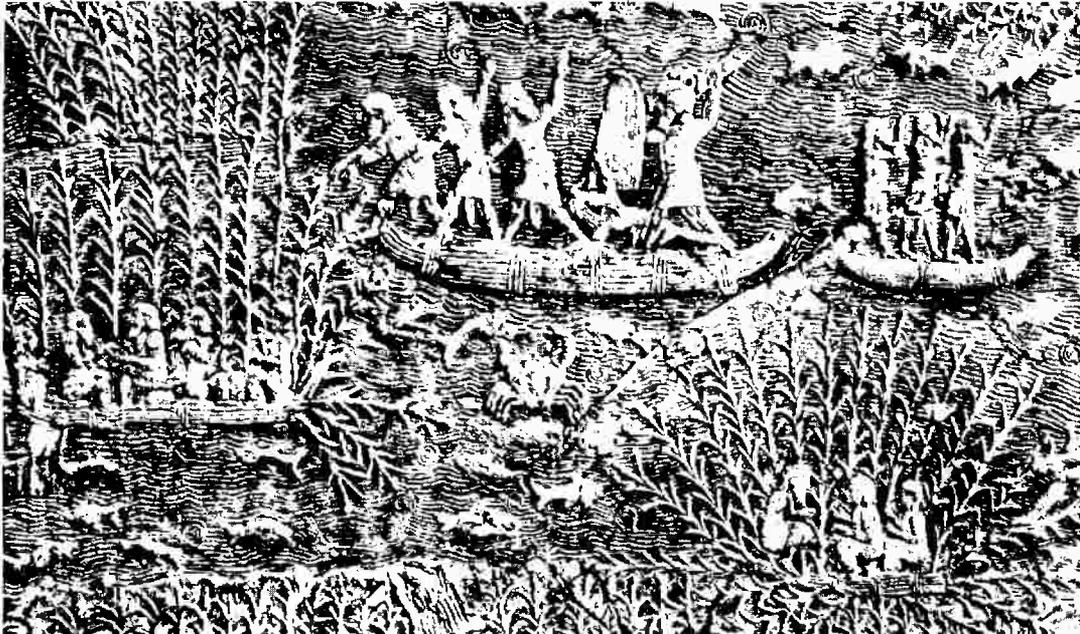
وقد سجل الملك « آشوربانيبال » صورة الاحتفال بالنصر على ملك « علام » في منظر بحديقة القصر (شكل ١٩٣) فيظهر الملك مضطجعاً على أريكة يشرب

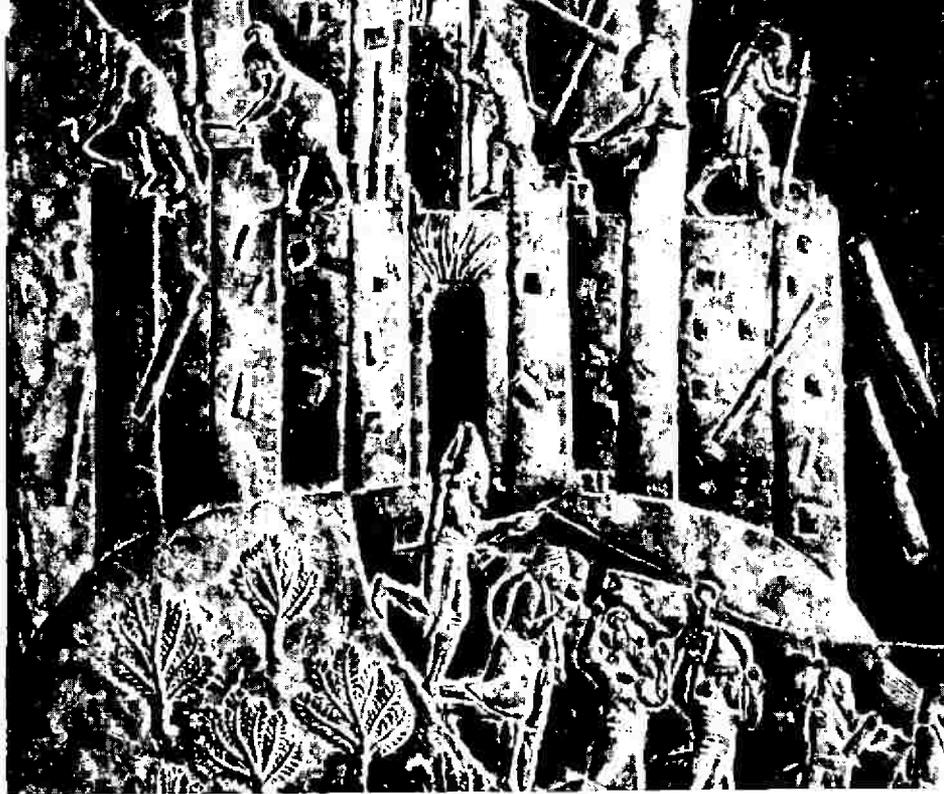
(شكل ١٨٩) « البطل جليجامش يحمل أسداً صغيراً »  
 نقش بارز وجد على جدار بقصر  
 مدينة « خورسباد » القرن الثامن - المتحف  
 اللوفر »



(شكل ١٩٠) منظر غابة على جدار بقصر الملك سارحون  
 « بخورسباد » القرن الثامن ق. م. - المتحف اللوفر »

(شكل ١٩١) جنود الملك سنحريب يطاردون الأعداء  
 مختفين بالجر - نقش بارز عثر عليه بقصر الملك في « نيوى »  
 القرن السابع ق. م. - المتحف البريطانى »

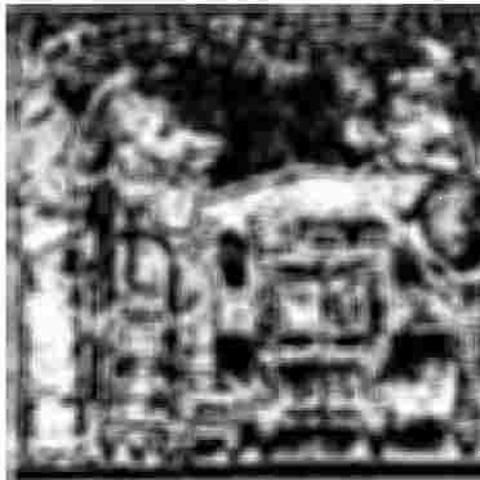




١٩٢

(شكل ١٩٢) جنود الملك آشور بانيبال  
 يهبون مدينة « حان » بعد أن انتصروا عليها .  
 نقش بارز من قصر الملك في مدينة « نينوى »  
 القرن السابع ق . م . « المتحف البريطاني »

(شكل ١٩٣) « الملك آشور بانيبال مضجعاً  
 في الخديقة وأمامه تجلس الملكة » نقش بارز  
 حار عليه في قصر الملك بمدينة « نينوى » القرن  
 السابع ق . م . « المتحف البريطاني »



١٩١



(شكل ١٩٤) « النسوة المرحجة » جزء من  
 نقش بارز يصور صيد الملك آشور بانيبال للأسود  
 على جدار قصر الملك بمدينة « نينوى »  
 القرن السابع ق . م . « المتحف البريطاني »

نخب الانتصار مع الملكة الجالسة أمامه بينما تظهر رأس ملك « علام » معلقة على شجرة بالحديقة . وهذه الصورة تعتبر من المناظر النادرة التي تظهر فيها النساء الآشوريات (١) .

ولقد تميزت نقوش قصر الملك «أشور بانيبال» بمناظر الحيوانات التي أثبت فيها الفنان المقدرة الفنية والكفاية التي وصل إليها في ذلك العصر . وتعتبر هذه المجموعة أحسن ما ظهر في العهد الآشوري كله إذ أن رسوم الحيوانات المطاردة سواء أكانت أسوداً أم جياداً أم غزلاناً دلت على دراسة الفنان للخصائص الذاتية لهذه الحيوانات كما دلت على فيض إحساسه ودقة شعوره .

وبالرغم من أن الفنان لم يظهر في هذه الصور أى اهتمام بتوضيح خلفية الصورة التي وزع عليها الحيوانات ، إلا أن المرء لا يشعر بهذا النقص للدقة المتناهية التي رسم بها هذه الحيوانات ، مع الاهتمام بتوضيح الانفعالات المختلفة المتطبعة على أوجهها ، فعبّر في وجه اللبؤة الجريئة التي أصابتها السهام فشلت النصف الخلفي من جسمها عن الآلام المبرحة التي تشعر بها (شكل ١٩٤) .

وقد ظهر من بين هذه المناظر أيضاً ما يمثل صيد الجياد فزى فيها الحيوانات هاربة تلوذ بالفرار . وهنا يتضح شغف الفنان بالحيوانات ومعرفته بتكوين أجسادها كما تظهر قوة حساسيته في تسجيل التفاتة المهرة المولية إلى الخلف خوفاً على صغيرها الذي تطارده الكلاب (شكل ١٩٥) .

وهذا الفن الآشوري الملكي الذي ظهر فجأة في القرن التاسع في قصر الملك «أشورناصر بال» لم يكن له مقدمات سابقة أو جذور فنية استمد منها ظهوره وقد اختفى في الوقت الذي وصل فيه إلى القمة بعد سقوط نينوى في سنة ٦١٢ ق . م . على يد الملك البابلي «نبوخذ نصر» . أى بعد حوالي قرنين ونصف من ظهوره . مما حمل بعض العلماء على التساؤل : «هل هو فن آشوري خاص من عمل الفنان الآشوري ، أم أن هناك أكثر من يد تعاونت للوصول به إلى هذه الدرجة الفنية العالية، وإذا لم يكن هذا الفن الملكي وطنياً نابعاً من

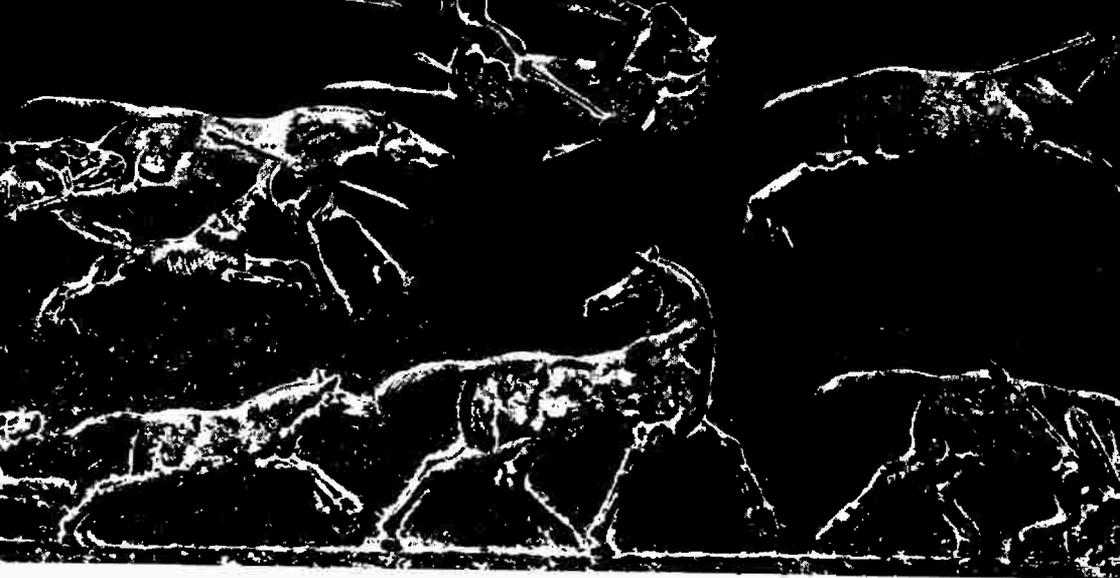
(١) لم تظهر في النقوش الآشورية غير زوجة الملك «سنخريب» وزوجة الملك «أشور بانيبال» .

الفنان الآشوري فكيف أنت فكرة هذه المواضيع ؟ ومن اشترك في إخراجها بهذه الصورة ؟ » .

قد تكون فكرة تسجيل المعارك الحربية ومناظر الصيد منقولة عن المناظر المماثلة التي تغطي جدران معابد « الرامسيوم » ومدينة « هابو » في طيبة ، حيث يرجع تاريخ نقشها إلى مئات السنين قبل تاريخ النقوش الآشورية . وربما نقل الفينيقيون الذين كان لهم ولع خاص بتقليد الفن المصري فكرة هذه المواضيع إلى الآشوريين ، ويؤيد هذا الفرض خضوع الدولة الفينيقية للدولة الآشورية في سنة ٨٧٧ ق . م وقت ظهور هذا الفن الآشوري . وبطبيعة الحال قدم الفينيقيون الهدايا العاجية والمعدنية المنقوشة بمناظر مصرية للملوك الآشوريين . كما أنه لا يستبعد اشترك الفنان الفينيقي في إخراج مثل هذا العمل الجميل خصوصاً في تسجيل تفاصيل زى الملوك والشخصيات الخيالية لما عرف عنه من الدقة المتناهية في توضيح دقائق التفاصيل الموجودة على المصنوعات العاجية والمعدنية . لكن الفنانين الفينيقيين ما هم إلا صنّاع مهرة يجيدون التقليد المتقن ، ولا قدرة لهم على الابتكار . مما جذب فكرة اشترك الحيثيين في رسم الحيوانات خصوصاً الجياد الفارة لمعرفتهم بها ، وتمكنهم من دراستها وفهم شعورها . أما الشخصيات الخيالية لآدميين بأجنحة أو رجال برعوس طيور ، فلا يعرفها الفينيقيون أو الحيثيون ، لكنها ظهرت باستمرار في فنون بلاد النهرين ، مما يرجح مشاركة الفنان الآشوري الذي صمم هذه الوحدات في تنفيذ هذا العمل الفني . وفرض اشترك جنسيات مختلفة في القيام بمثل هذا العمل الفني ليس مستبعداً حيث إن هذا الفن وجد فقط في القصور الملكية . مما يرجح استخدام الملوك للصناع المهرة من جميع أنحاء الإمبراطورية ليشاركوا في إخراجها . وقد توقفت هذه العملية بسقوط الدولة الآشورية .

التصوير :

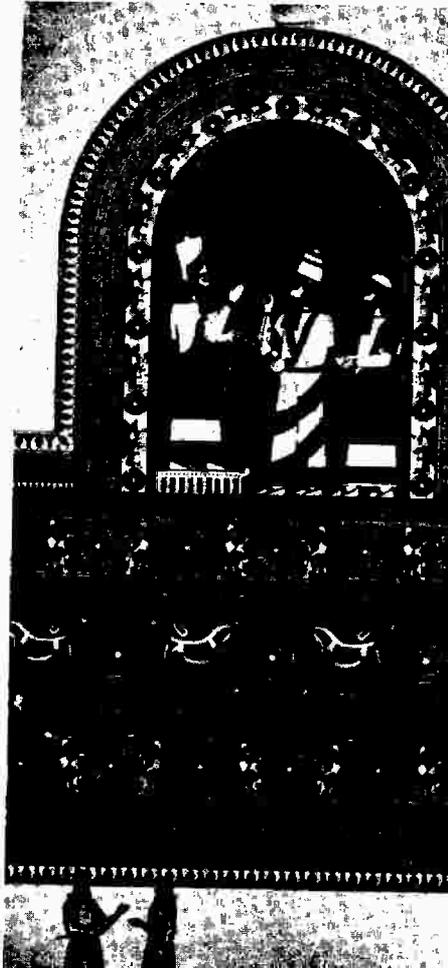
حلت التصاویر الجدارية الملونة محل النقوش البارزة في بعض الحالات القليلة التي لا تتوفر فيها الإمكانيات الكافية لزخرفة الجدران بالنقوش البارزة .



(شكل ١٩٥) « صيد الجياد المتوحشة » نقش بارز على جدار قصر مدينة « نينوى » القرن السابع ق.م « المتحف البريطاني »

( شكل ١٩٦ ) صورة ملونة منقولة عن تصوير جداري عثر عليه في قصر خورسباد ويظهر به منظر المثل أمام الإله الذي نادراً ما يظهر في النقوش الآشورية - القرن الثامن ق . م ( صورة منقولة عن كتاب « خورسباد » للمؤلف « ل. ألتمان » L. ALTMAIN ص ٨٩ )

( شكل ١٩٧ ) تصوير جداري من قصر حاكم تل بارسيب « التل الأحمر » ويظهر في الصورة اثنان من رجال القصر. القرن الثامن . « متحف حلب »



وعثر على آثار من هذا الفن في القاعات الصغيرة لقصر الملك « سرجون »  
 « بخورسباد » توضح الأسلوب المتبع في التصوير الجداري الآشوري وبدراسته  
 نلاحظ أن الجدار قد غطى بطبقة من الطلاء الأبيض ، ووزعت فوقه الزخارف  
 الملونة . وتتكون الوحدات الموجودة في إحدى هذه الزخارف من مخلوقات منححة  
 متكررة بنظام في إطارين أفقيين ، ويفصل هذه المخلوقات المنححة زخارف  
 نباتية في دوائر ( شكل ١٩٦ ) ويفصل هذين الإطارين إطار به صف من  
 الثيران ، ويوجد بين هذه الثيران زخارف هندسية . وتعلو الإطارات الثلاثة  
 صورة ملونة تمثل الملك ماثلاً أمام الإله « آشور » والألوان المستعملة في هذه  
 الصورة هي الأحمر والأزرق والأبيض والأسود ، مع تحديد الوحدات المرسومة  
 باللون الأسود ، وللأسف اندثرت معظم هذه الجدران الملونة . إلا أنه عثر في  
 مدينة « تل بارسب Tell Barsip » - حالياً « تل أحمر » - على قصر يرجع تاريخه  
 إلى القرن الثامن قبل الميلاد ، تقتصر زخرفة جدرانه على التصاوير الملونة ( شكل  
 ١٩٧ ) ، كما توجد به زخارف مكونة من وحدات متشابهة مع الوحدات المذكورة سابقاً  
 في خورسباد ، وحيث إن هذا القصر خاص بحاكم مدينة صغيرة . لذلك لم يستخدم  
 فيه طبقة العمال التي استخدمت في تزيين قصور عواصم الأباطرة الآشوريين .  
 لذا من المؤكد أن التصوير الجداري الذي وجد في قصر « خورسباد » كان  
 يمتاز عن تصاوير هذا القصر . ولقد عرف فن زخرفة القصور الملكية بتصاوير  
 ملونة في بلاد النهرين منذ القرن الثامن عشر ق . م ، وانضح ذلك من آثار  
 قصر مدينة « ماري » كما ظهر في عهد حكم الكاشيين لبابل في القرن  
 الرابع عشر ق . م في مدينة « أوقاف » .

ولقد عرف الآشوريون استخدام الألوان في زخرفة أجزاء من الجدران بالطوب  
 الحزقي منذ عهد الملك آشورناصربال ، حيث عثر في قصره على قوالب من

( ١ ) قامت بعمليات التنقيب في مدينة تل بارسب بعدة فوجيات في عام ١٩٣٠ - ١٩٣١ ولقد عثر

هذا القصر على حوالي ١٣٠ متراً من الجدران المزخرفة بمنظر مختلف .

الطوب الخزفي الملون - كما عثر على طوب خزفي أزرق في مباني الزقورة التي عثر عليها في مدينة « خورسباد » .

### الفنون التطبيقية :

زين الآشوريون أبواب مدخلهم الخشبية بالألواح برنزية نقشوا عليها مناظر تسجل أحداثهم . ففي مدينة « بلاوات » - حاليا « أمحور » - عثر الأستاذ ( هورمزد راسام )<sup>(١)</sup> على ألواح برنزية كانت تغطي الأبواب الخشبية لقصر الملك « شلمنصر » . ويوجد بكل لوح إطاران منقوشان بمناظر توضح الحملات التي قام بها الملك ، ويفصل بين الإطارين وحدات متكررة لزهرة الروزيت . وتسجل هذه المناظر المختلفة شكل القلاع الآشورية كما توضح نوع الأسلحة التي استخدمها الآشوريون في حروبهم . ولضيق الشريط عبر الفنان عن الطبيعة الجبلية التي يتقدم فيها الجيش بخطوط منحنية فزرى في أحد السطور الجيوش تسير في منطقة جبلية يتقدمها صف من الأعداء العرايا مقيدة أيديهم خلف ظهورهم ( شكل ١٩٨ ) . وبالإضافة إلى الألواح البرنزية السابقة عثر أيضاً على ألواح برنزية كانت تغطي بوابات قصر الحريم في « خورسباد » .

ولقد أتقن الآشوريون صناعة التماثيل البرنزية ويوضح ذلك تماثل من البرنز لأسد عثر عليه في « خورسباد » ( شكل ١٩٩ ) تبدو على ملامح وجهه الشراسة المعروفة في مناظر صيد الأسود الآشورية .

وقد احتوت قصور الآشوريين على كميات هائلة من العاج المنقوش استعملت في أغراض كثيرة . فإما تثبت في قطع الأثاث أو تزين بها عروش الملوك أو يقتصر صنعها على عمل علب وتماثيل وأمشاط . . . إلخ . وهذه القطع

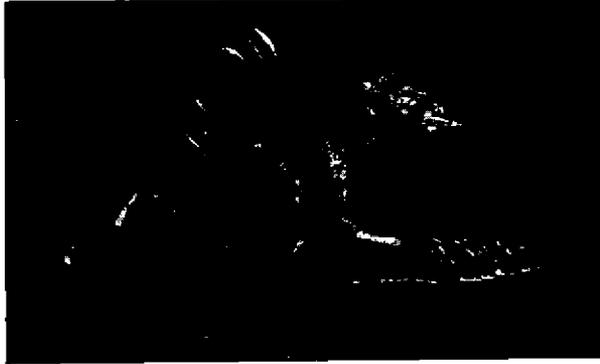
(١) تَمَرَن الأستاذ هورمزد راسام على أعمال التنقيب مع الاستاذ لابرار . وعثر على هذه الأبحاث

البرنزية بمد عمليات التنقيب في مدينة نينوى « سنة ١٨٧١ »

(شكل ١٩٨) ألواح  
 كانت تغطي الأبواب ل  
 لقصر الملك شلمنصر في  
 «بلاوات» . ويظهر فيها  
 يصور الأعداء عراك  
 أيديهم إلى الخلف وأ  
 موضوعة في أطواق . القرن  
 « المتحف البريطاني »



( شكل ١٩٩ ) أسد من البرنز عثر عليه في  
 مدينة خورسياد . القرن الثامن ق.م «متحف اللوفر»



( شكل ٢٠٠ ) قطعة عاجية منقوشة وملونة  
 تصور زوجيا تقترسه أنثى الأسد بجوار مجموعة من  
 نبات البردى . عثر عليها في «عمرد» القرن الثامن  
 ق. م ويوجد من هذه القطعة اثنتان . الأولى في  
 إنجلترا والثانية في بغداد ( صورة الغلاف )



العاجية قد تكون ملساء أو منقوشة . وفي بعض الأحيان يلون العاج أو يرصع بأحجار ملونة ، كما كان بعض أجزاء منه تغطي بطبقة من الذهب . وأكبر مجموعة من الآثار العاجية عثر عليها في مدينتي « نمرد » و « خورسباد » . وبطبيعة الحال قام الفينيقيون وبعض السوريين بصنع هذه القطع العاجية . فقد وجد على سطح بعض هذه القطع حروف « فينيقية » كما أن المجموعة التي عثر عليها في « خورسباد » يغلب فيها ظهور الوحدات المصرية . ويلاحظ في بعض الأحيان ظهور وحدات آشورية بجانب الوحدات المصرية بغية إرضاء الملوك الآشوريين . مثال ذلك القطعة التي عثر عليها في « نمرد » فهي تصور لبؤة تهاجم زنجياً بجوار مجموعة من نبات اللونس ( شكل ٢٠٠ ) وتعتبر هذه القطعة الملونة من أحسن القطع العاجية التي صنعها الفينيقيون للآشوريين من حيث التصميم والتنفيذ .

ومن القطع التي لا يظهر فيها التأثير المصري مما يرجح صناعتها بيد السوريين الآراميين قطعة تمثل وجه امرأة مبتسمة<sup>(١)</sup> ( شكل ٢٠١ ) عثر عليها الأستاذ « لوفتس Loftus » في مدينة نمرد . ومن الغريب أن يكثر في هذه المصنوعات العاجية ظهور وحدات نسائية بعكس ما كان متبعاً في الفن الآشوري .

### النحت :

لم يكن الفن النحت الكامل أهمية عند الآشوريين مثل الأهمية التي وجدت في فن النقش البارز على الأحجار . والظاهر أنه كان نادراً وإذا ما وجدت آثار نحت كامل فإن صناعتها تدل على فن بسيط .

وأقدم التماثيل التي عثر عليها في « آشور » هي تماثيل صغيرة من الحجر يغلب عليها طابع الفن السومري . وذلك لوقوع « آشور » في ذلك الوقت تحت الحكم البابلي . ومن التماثيل القليلة التي نحتت بعد ظهور طابع الفن الآشوري

( ١ ) يطلق البعض على هذه القطعة « مائليزا الشرقية » وذلك لاشتراكها مع الوجه المشهورة في

تلفظ بظهور ابتسامة غامضة على الوجه .



(شكل ٢٠١) قطعة عاجية مشكلة على هيئة رأس فتاة  
عثر عليها في «أمرد» .



(شكل ٢٠٢) عمال ملك آشور ناعم بال الشافى  
الملك نورد وبتشان مصنوع من حجر لايسار وارتفاعه  
١٠٠ سم . القرن التاسع ق . م . المتحف البريطاني .

تمثال الملك « أشورناصر بال » . وبلاحظ أن الفنان صور الملك في وضع مشدود لا تعبير فيه ولا حركة، عارى الرأس ممسكاً بيديه صولجان الحكم وسلاحاً ذا نهاية مقوسة (شكل ٢٠٢) . وليس بالزى تفاصيل مثل ما هو موجود على الألواح الحجرية كما لا يكشف الزى عن شكل الجسم . ودرجة النحت لا تبليغ من الجودة ما وصل إليه فنان النقوش البارزة . ويذكرنا التصميم الكلى للتمثال بتمثال « جوديا » ولو أن الأخير يمتاز عنه كثيراً في دقة الصناعة .

### الأختام الأسطوانية :

قلّ ظهور الأختام في العصر الأشوري لعدم الحاجة إليها . ولكن لم يخل الأمر من ظهور أختام بها نقوش لبعض الموضوعات المفضلة . فاختلفت المناظر الدينية من الأختام الأسطوانية وحلت محلها مناظر الصيد . أو صور لحيوانات تقوم بحركات نقشت بدقة وعناية ، وتدل الصناعة الدقيقة لهذه الأختام على وجود طبقة من العمال المهرة من الجائز أنهم اشتركوا في عملية نقش الألواح الحجرية .

## الفصل الثاني

### الدولة البابلية الجديدة

٦٢٥ ق . م . - ٥٣٩ ق . م .

تمهيد تاريخي :

أخذت الدولة الآشورية في الضعف والاضمحلال في أواخر عهد الملوك الآشوريين . وذلك من جراء هجمات قبائل السيثيان . وانتهاز هذه الفرصة حاكم بابل المعين من لدن الآشوريين واسمه ( نوبولاسار ) أو ( بختنصر ) للاستقلال بالحكم في سنة ٦٢٥ ق . م . وتمكن الملك البابلي بمعاونة الميديين من غزو « نينوى » وقضى على ما تبقى من الدولة الآشورية في « حران » في سنة ٦٠٩ ق . م . وكون مملكة بابل الجديدة التي حكمتها أسرة مكونة من عشرة ملوك .

أخذت الدولة البابلية الجديدة مركز الآشوريين في حكم بلاد النهرين، وزاد نفوذ هذه القوة الجديدة تحت حكم الملك « نبوخذ نصر » الذي هزم الملك المصري « أبيتمتيك » في « قرقميش » في سنة ٦٠٤ ق . م . واسترجع ممتلكات الدولة الآشورية حتى حدود مصر ووضع نهاية لدولة يهوذا بعد أن هزمها وهجر الجزء الأعظم من سكانها اليهود إلى بابل . وفي أواخر عهد الدولة أخذت عوامل الضعف تظهر فيها في الوقت الذي زادت فيه قوة الفرس الذين تغلبوا على أولاد عمومتهم الميديين في حكم إيران فتمكنوا من غزو بابل في سنة ٥٣٩ ق . م . تحت قيادة الملك كورس الذي قلب أوضاع مناطق النفوذ في حكم منطقة الشرق الأوسط ثانية . وبذلك أصبحت بلاد النهرين مرة أخرى تحت الحكم الأجنبي ، وبقيت كجزء من الإمبراطورية الفارسية حتى عام ٣٣٢ ق . م . حين غزا الإسكندر المقدوني البلاد ، واستولى على بابل .

لم يتمكن المنقبون من العثور على آثار كثيرة من ذلك العهد تسمح بدراستنا للفن البابلي الحديد . وكل ما عثر عليه منه هي آثار مدينة بابل المعمارية .

## العمارة :

اكتشف الأستاذ «كلدوى Robert Goldway» الجدار الخارجي لمدينة بابل الذي أعاد بناءه الملك «نبوخذ نصر» . وكانت بابل في فترة حكمه تعد أعظم مدينة في العالم القديم . وتدل هذه الآثار على أن المدينة كانت محاطة بسورين سميكين محصنين بأبراج عالية . كما كان بها بوابات سميت بأسماء الآلهة البابلية . أهمها البوابة الرئيسية المعروفة ببوابة «أشتار»<sup>(١)</sup> (شكل ٢٠٣) .

زينت واجهة هذه البوابة وجدران الطريق الموصل إليها بطبقة ملونة من الطوب الخزفي تظهر فيه وحدات من الحيوانات وينتهي هذا الطريق المؤدى إلى بوابة أشتار بمعبد الإله «مردوك» المشيد فوق الزقورة في وسط المدينة . وقد زاد عدد الطبقات في زقورة «بابل» إلى سبع طبقات وذاع صيتها في العالم القديم<sup>(٢)</sup> . وقد ذكر الرحالة هيرودوت أن المصاطب كانت مشيدة بالآجر . أما جدران المعبد فكانت مغطاة بالطوب الخزفي الملون كما غطيت جدران غرفة الإله وأخشاب السقف بالذهب والفضة . وكان تمثال الإله مصنوعاً من الذهب وقام برسمه من الخيال مجموعة من كبار المصورين في أوروبا .

وقد اعتمد البابليون على الطوب الخزفي الملون في تزيين الجدران وطوروا فيما تعلموه من الآشوريين . فقدم لنا الطوب الخزفي وخاصة الموجود في بوابة «أشتار»

(١) يوجد جزءه باق من هذه البوابة في موقع المدينة قريباً من بغداد ، ونقل جزءه من هذه البوابة إلى متحف برلين ورم .

(٢) يتكون هذا المبنى من سبع مصاطب يملؤها معبد الإله مردوك ويظن أن هذا المبنى هو الذي عرف باسم برج بابل في الكتب الدينية . وقد قام بوصفه تياس - طبيب الملك الفارسي ارتاكزكس في سنة ٥٥٠ ق . م كما كتب عنه الرحالة الإغريقي هيرودوت . ولقد حاول الملك اسكندر ترميمه .

زخارف متعددة الألوان «لوحة ملونة رقم ٤». فعلى الأرضية الزرقاء توجد وحدات من الحيوانات الملونة بألوان مختلفة مورعة في صفوف أفقية ويظهر في أحد الصفوف وحدات متكررة للتور الخاص بالإله «آداد» ولون الجسم أصفر بني ، أما قرونيه وحوافره وأهداب الذيل وشعر ظهره فلونها أخضر في زرقاة ، ويظهر الحيوان الخرافي المقدس الذي يمتطيه الإله «ماردوك» متكرراً في صف آخر ، ويتميز هذا الحيوان الخرافي بجسم ممتد ورقبة طويلة ورأسه الذي يشبه الثعبان له قرون ويمتد اسنانه إلى الخارج . كما تأخذ أقدامه الأمامية شكل أقدام الأسود والخلفية أقدام النسر «لوحة ملونة ٤-١». ويحيط بهذه الزخارف إفريز ملون بالأصفر به وحدات هندسية أما الوحدات الحيوانية التي تزخرف جدران الطريق المؤدى للبوابة فهي عبارة عن صفوف من الأسود الكاسرة «لوحة ملونة ب» .

وقد استخدم البابليون الطوب الخزفي أيضاً في زخرفة واجهة مدخل قاعة العرش . فيظهر على الجدار تصميم زخرفي به وحدات نباتية بالإضافة إلى صف من الأسود . ويلاحظ في وسط المساحة وحدات على هيئة أربعة أعمدة نخيلية الشكل يربطها فروع من نبات الأوتس (شكل ٢٠٤) . ومن الجائز أن الفنان تأثر في زخرفته بالأعمدة النخيلية التي كانت تزين واجهة قاعة الحرم في قصر «خورسباد» .

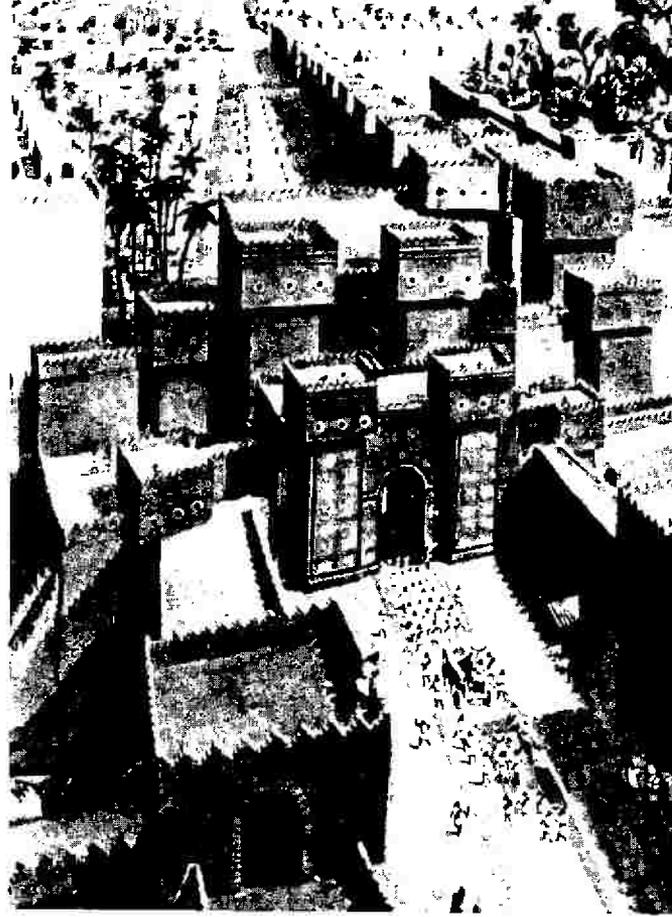
### النحت :

من الآثار النادرة للنحت البابلي عثر على تمثال من الحجر يمثل أسداً يفترس آدمياً (شكل ٢٠٥) وقد شوهدت هذه الوحدة قبل ذلك في قطع العاج الأشورية .

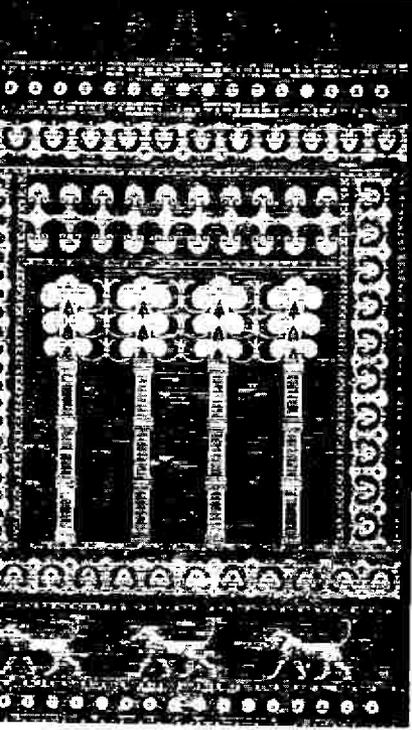
(١) ذكر أن عدد وحدات الأسود الكاسرة الموجودة على جدران الطريق بلغ ١٢٠ وحدة ،

ستون على كل جانب .

( شكل ٢٠٣ ) رسم تخطيطي لمدخل  
مدينة بابل وتظهر به بوابه « إشتار » .



( شكل ٢٠٤ ) جزء من جدار « قاعة  
العرش » في قصر « بابل » . ويغطي  
الجدار طوب الخزف الملون المزخرف  
القرن السادس ق.م. «متحف الدولة ببرلين»



( شكل ٢٠٦ ) ختم أسطوانى من  
العصر البابلى الجديده ويظهر فيه نقش  
لنعامة تهرب من الصياد



( شكل ٢٠٥ ) تمثال من الحجر .

### الأختام :

انتشر استعمال الختم المسطح . وكان يصنع عادة من مخروط ناقص مستدير عند القمة . ولم تتميز الأختام البابلية الجديدة بطابع خاص . فيستمر ظهور مناظر صيد الحيوانات (شكل ٢٠٦) كما تظهر بعض المواضيع الدينية .